بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الاسلام فى نظر علماء المسيحية :

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » (١)

وقد مرت السنون ، وهذه الحقيقة لا تزداد الا تأكيدا واشراقا .. وهتف الأحرار فى الشرق والغرب من مسلمين وغير مسلمين بأنه لا صلاح للمجتمع البشرى الا فى ظـــلال التشريعات القرآنية ، والنظم الاســـلامية ، **« فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » (٢)**

فمن أعلام الغربيين المنادين بضرورة الأخذ بتعاليم القرآن ، الأستاذ « لامبير » الفرنسى الذى كان يشير على تلاميذه المصريين أن يعنوا بوضع رسائل الأستاذية (الدكتوراه) فى الشريعة الاسلامية ، مؤكدا انهـــا قد عملت فى العصور الوسطى على امداد المدنية المسيحية الحاضرة بقسط وافر من الأصول العامة .

وكذلك يقول الدكتور « تارا » : « لا يمكن لمدنية من المدنيات أن تدعى بأنها لم تتأثر من قريب أو بعيد بدعوة هذا النبى الكريم ودينه وتشريعاته » (٣) ..وتلمح هذه الحقائق فى دعوة « لوثر » الثائرة على الكهنوت المسيحى . وفى تحرير المرأة الهندية من عبوديتها . وفى اعلان مبدأ المساواة بين الطبقات فى الهند وفى غيرها . فقد ســـبق الاسلام بهذا ـــ نظريا بنصـــوص القرآن والسنة المتواترة ، وعمليا بتزويج الرسول زينب بنت جحش ذات الحسب والنسب بزيد بن حارثة معتوق النبى رغم انها ابنة عم الرسول، ثم تزوجها النبى من بعده ليحطم ما بقى من آثار الفوارق الاجتماعية التى كانت تدعو الى انحطاط المرأة اذا تزوجت برقيق أو معتوق . وقد حذا حذوه غاندى

---

(١) الاسراء : ٩ (٢) الاحزاب : ٢٣

(٣) محمد رسول الله فى مرآة الفكر الأجنبى ص ٤٩

حين زوج ابنه الأكبر بواحدة من المنبوذين حتى يرى الهندوس عمليا انه لا فارق ولا اضطهاد ولا نجاسة (١)

دفع مزاعم الغربيين :

ويقول مسيو «هنرى دشامبون» مدير مجلة « ريفو بار منتير » الفرنسية :

ولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجى على تقدم العرب فى فرنسا ، لما وقعت فرنسا فى ظلمات القرون الوسطى ، ولما أصيبت بفظائعها ، ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة : عن التعصب الدينى والمذهبى ، ولولا ذلك الانتصار البربرى على العرب لنجت اسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ، ولولا ذلك لما تأخر سير الحضارة والمدنية ثمانية قرون ..

نحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا ، فى العلم والفن والصناعة ، مع اننا نزعم اليوم ان لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة فى الفضائل . وحسبها انها كانت مثال الكمال البشرى مدة ثمانية قرون ، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية ، وانه لكذب وافتراء ما ندعيه من ان الزمان قد اختلف . وانهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى (٢) .

ويقول « بيرلوتى الفرنسى » : عندنا — نحن الأوروبيين — يعتبر من الحقائق الثابتة ان الاسلام هو دين من أديان الظلام الفكرى التى تحول بين معتنقيها والنور ، وهو يجلب الركود الى الشعوب ، ويضع أمامها العقبات فى سيرها نحو ذلك المجهول الذى ندعوه بالتقدم . وهذا يدل — قبل كل شىء — على الجهل المطبق بتعاليم النبى ، وفوق ذلك هو نسيان مذهل لشهادة التاريخ ، لأن الاسلام منذ القرن الاول . قد جعل يتطور ويتقدم مع الأجناس المتباينة ، ونحن نعرف اى صعود سريع ذلك الذى منح الناس اياه ابان حكم الخلفاء الأولين (٣) .

دين التشريع والمدنية :

قال الدكتور « انريكوا نسباتو » : ان الشريعة الاسلامية تفوق فى كثير من بحوثها الشرائع الأوروبية ، بل هى التى تعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتا ...

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨ ، ٤٩

(٢) أركان الاسلام الخمسة ص ٢٢٥

(٣) محمد رسول الله .. ص ٤٥

وقال مستر « ولز » اكبر مؤرخى هذا العصر : كل دين لا يسير مع المدنية فى كل طور من اطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال ، لان الدين الذى لا يسير مع المدنية جنبا الى جنب لهو شر مستطير على اصحابه يجرهم الى الهلاك ، وان الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية انى سرت ، هى الديانة الاسلامية ... واذا أراد الانسان ان يعرف شيئا من هذا فليقرأ القرآن ، فان كثيرا من انظمته تستعمل فى وقتنا هذا .. وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة ، واذا طلب منى احد القراء ان احدد له الاسلام فانى احدده بالعبارة التالية :

« الاسلام هو المدنية »

وهل فى استطاعة انسان ان يأتينى بدور من الأدوار كان فيه الدين الاسلامى مغايرا للمدنية والتقدم ؟ ! ..

ان محمدا هو الذى استطاع فى مدة وجيزة تقل عن ربع قرن أن يكتسح دولتين من اعظم دول العالم، وان يقلب التاريخ راسا على عقب . وان يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء مسكنا لها ، واشتهرت بالشجاعة ورباطة الجاش والأخذ بالثأر واتباع آثار آبائها .. ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الأمة العربية على امرها .. فمن ذا الذى يشك أن القوة الخارقة للعادة التى استطاع محمد أن يقهر بها خصومه هى من عند الله ؟ !

وقال « مسيو سباستيان شارلتى » : لقد مات الشرق بموت «دارا»، وعادت اليه الحياة على يد محمد » (١) .

وممن نصحوا بالأخذ بالشريعة الاسلامية من علماء الغرب الأستاذ « بيولا كازيللى » ، والأستاذ « شبرل » عميد كلية الحقوق بجامعة « فيينا » ، والأستاذ « فمبرى » ، و « جوزيف كوهلر » العالم القانونى الألمانى ، و « هوكنج » الأمريكى أستاذ الفلسفة بجامعة « هارفارد » والأستاذ « ليفى أولمان » الأستاذ بكلية الحقوق بباريس . وغير هؤلاء كثيرا أمثال العلامة « سانتيلانا » الذى يقول فى بعض مؤلفاته : « ان فى الفقه الاسلامى ما يكفى المسلمين فى تشريعهم المدنى — ان لم نقل — ان فيه ما يكفى الانسانية كلها » ..

---

(١) د : شحاته — محمد رسول الله .. ص ٢٥

القرآن والعلوم الحديثة :

قال الفيلسوف الفرنسى « آلكس لوازون » :

لقد خلف « محمد » للعالم كتابا هو آية البلاغة . وسجل للأخلاق ، وكتاب مقدس ، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا ، أو المكتشفات الحديثة ، مسألة تتعارض مع الأسس الاسلامية ، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية ، مع ما نبذله من المساعى للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية (١) . وقال الدكتور « رينيه جينون » الذى أسلم وتسمى بعبد الواحد يحيى عن سبب اسلامه :

« اننى تتبعت الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية ، والتى درستها من صغرى وأعلمها جيدا ، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة ، من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر .

ولو أن كل صاحب فن من الفنون ، أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا ، كما قارنت أنا — لأسلم بلاشك — أن كان عاقلا خاليا من الأغراض (٢)

الاسلام فى نظر مسيحيى الشرق :

يجد كثير من المسيحيين الشرقيين شرائع الاسلام بعد دراسة وتمحيص ، نذكر منهم الأستاذ « فارس الخورى » العالم والسياسى السورى الذى يقول فى ذكرى مولد النبى محمد صلى الله عليه وسلم :

ان الذى جاء به « محمد » أوفى الأديان وأتمها وأكملها ، وقد ضمت شريعة الاسلام أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية هامة ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون الا الاعتراف بفضل الذى دعا الناس اليه من تشريعات باسم الله ، والاعتراف بأنها متفقة مع العلم ، مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية .

---

(١) محمد رسول الله فى مرآة الفكر الأجنبى — للدكتور عبد الفتاح على شحاتة ص ٢٥

(٢) محمد رسول الله فى مرآة الفكر الأجنبى ص ٦٠

وان شريعة الاسلام قد عينت للناس حقوقهم وواجباتهم واصول تعاملهم على اسس تعد من ارقى دساتير العالم واكملها (١) . بل ان شيخ ملاحدة الشرق العالم الشهير « الدكتور شبلى شميل » يقول بوضوح وصراحة : ان القرآن فتح امام البشر ابواب العمل للدنيا والآخرة ، وجاء لتربية الروح والجسد بعد أن اوصد غيره من الاديان تلك الابواب ، فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلى عن هذا العالم (٢) .

الشريعة فى نظر المسلم :

واما الباحثون المسلمون فلا حاجة لذكر عقيدتهم فى دينهم ، لانه لا يكون المسلم مسلما الا اذا رضى بدينه فى عباداته وتشريعاته صادقا ، « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » (٣) .

موقفنا من الآيات المنسوخة :

درج جمهور الناظرين فى القرآن على اهمال النظر فى بعض آيات من القرآن قيل انها نسخت وبطل العمل بها ، لنزول آيات اخرى تعارضها ، فكفاهم من نور القرآن ما عرفوا انه غير منسوخ .

واطلت علينا المدنية الحديثة بنظم وآراء فى التشريع والاجتماع والتربية ، فقال دعاة الاسلام : ان القرآن سبقنا بخيرها فى آياته المحكمات ، وسكتوا عن الحديث فى الآيات التى قيل عنها منسوخة ، فكان من الواجب الا نقطع عن ركب الحضارة ومنتديات الآراء هذه الآيات الكريمة من اجل ان انسانا — مهما كان شأنه — يقول انها منسوخة .

والعجب ان نغفل آيات من القرآن فنقول انها منسوخة ، بينما المستشرق الدكتور « موريس » يقول فى وصفه لآيات القرآن — فى مقدمة ترجمته للقرآن — : ان هذا هو الكتاب الذى ادخرته العناية الازلية لبنى البشر ، وان هذا الكتاب ندوة علمية للعلماء ، ومعجم لمن يطلب اللغة ، ودائرة معارف لمن يطلب الشرائع والقوانين ، ويمكننا أن نقول : ان جميع

---

(١) فقه الاسلام لحسن احمد الخطيب ص ٤٠٦ — ٤١٢ .
(٢) أركان الاسلام الخمسة ص ٢٢٦
(٣) النساء : ٦٥

الكتب السماوية التى انزلت قبله ، لا تساوى اكثر من آية من آياته(١) .

وقد عرضت فى كتابى (النسخ فى الشريعة الاسلامية كما افهمه) الى دعوى النسخ فى الشريعة بصورة واسعة فابطلتها بأسلوب المختصين فى الدراسات الفقهية وبمنطقهم العلمى . وباستقراء تام لكل ما قيل فيه نسخ ..

واليوم نقدم صورا تطبيقية لهذه الآيات التى زعم الزاعمون نسخها ، فى عالم المذاهب التقدمية والآراء العلمية المعاصرة ، فان أمدتنا هذه الصور بما يجعل لانتفاضاتنا — نحن البشر فى كل مكان — جذورا تستقر عليها نهضاتنا ، كاستقرار السنن الكونية التى ربط بها الاله العوالم ، فذلك ما نبغى ، وما هو ليس على الله بعزيز ، فما سنن الحياة الاجتماعية التى وضعها الله فى كتبه المنزلة لصالح البشرية ، الا صنو السنن الكونية التى وضعها — سبحانه — فى كتاب الطبيعة المفتوح بين يدى الانسانية ، ثباتا .. وهداية .. « **ولن تجد لسنة الله تبديلا** » (٢)

المحرم ١٣٨٥ هـ

عبد المتعال محمد الجبرى

---

(١) ملحق مجلة لواء الاسلام ١٥ ع ١ ص ٢

(٢) الفتح : ٢٣